

ملخص برنامج [دليل المسافر] / الشيخ الغزي - الحلقة ٥٨

www.alqamar.tv

● هذا هو الجزء السادس من زُبدة المَخْض.. لازلَ حديثي في المَلْمَح الثاني من ملامح الدين السبروتي، لا أريد أن أُعيدَ الكلام في معنى هذا العُنوان، مرَّ الكلامُ بخصُوصه.

المَلْمَح الثاني مَلْمَحُ عقائديّ وهو : إنكارُ إمامةِ فاطمة "صلواتُ الله وسلامه عليها".

بدأتُ معكم هذا الموضوع بفتحِ شاشاتٍ مُتعدّدة.. الشاشةُ الأولى: شاشةُ القرآن وتشتملُ على مجموعةِ صُور.. تمَّ عرْضُ الصُورةِ الأولى والثانية والثالثة والرابعة.. وبدأتُ بعرضِ الصُورةِ الخامسة ولم يُسعفني الوقت.. فنَمَّتْ الحلقةُ الماضية.. فإِنني سأبدأُ الحلقةَ مِنْ حيثُ انتهيتُ في الحلقةِ الماضية.

● الصورةُ الخامسةُ وهي الصورةُ الأخيرةُ التي أعرَضُها في الشاشةِ الأولى وهي شاشةُ القرآن: إنّها سُورةُ القَدْر، سُورةُ فاطمة.. مثلما جاءَ في الروايةِ التي قرأتُها عليكم من كتابِ عللِ الشرائعِ للشيخِ الصدوق.. أوّلُ روايةٍ جاءتْ مذكورةً في البابِ الأوّلِ مِنْ أبوابِ الجزءِ الثانيِ مِنَ الكتابِ وهو: بابُ عللِ الأذانِ والوضوءِ والصلاة.

قال سُبْحانهُ وتعالى لِرَسُولِهِ المُصْطَفَى حينما كان يُصَلِّي صَلاتَهُ المِعْراجِيَّةَ في مِعْراجِهِ المِعْرُوفِ.. أَمْرَهُ أَنْ يَقْرَأَ سُورةَ القَدْرِ وقال سُبْحانهُ وتعالى لِنَبِيِّهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ": (إِنَّهَا نَسَبُكَ وَنَسَبُ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

ولِذا فَإِنني قد قرأتُ عليكم في روايةٍ ثانيةٍ مِنَ الكافيِ الشريفيِّ منقولةً عن إمامنا الباقرِ "صلواتُ الله عليه" وَصَفَ فيها سُورةَ القَدْرِ وأعطاهَا هذا العُنوانُ أَنَّ سُورةَ القَدْرِ هي سَيِّدَةُ دِينِنَا، لِأَنَّ سُورةَ القَدْرِ هي بِمِثَابَةِ بِطاقةِ تَعْرِيفِ لِفاطمة.. فَسُورةُ القَدْرِ هي سُورةُ فاطمة.

ولذا فإنَّ أحاديثهم الشريفة "صلواتُ الله عليهم" أعطتنا هذه القاعدة: (مَنْ عَرَفَ فاطمة فقد أدركَ ليلةَ القدر)

فالبطاقةُ المُعرِّفةُ لِليلةِ القدرِ والتي تُحدِّثنا إجمالاً عن سيِّدة الدُّنيا والآخرة، تُحدِّثنا عن فاطمة.. تلكَ البطاقةُ التي هي سُورةُ القدرِ هي التي وَصَفها إمامنا الباقر أنَّها سيِّدةُ دينكم.. لأنَّها تُحدِّثنا عن سيِّدة ديننا الحقيقيَّة، عن إمامنا فاطمة وعن أحدِ أئمةِ الأئمة.. إنَّها أحدُ أئمةِ الأئمةِ الثلاثةِ وإنَّها إمامُ إمامِ زماننا "صلواتُ الله عليها وعليه."

♦ وقفة عند حديث الإمام الصادق "عليه السلام" في [تفسير فرات الكوفي] صفحة ٥٨١ جاء فيها هذا الحديث:

(يقولُ الإمامُ الصادق "عليه السلام" في قوله عزَّ وجلَّ: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} اللَّيلةُ فاطمة، والقدرُ الله، فَمَنْ عَرَفَ فاطمة فقد أدركَ اللَّيلةَ وإنَّما سُمِّيَتْ فاطمة لأنَّ الخلقَ فُطِموا عن مَعْرِفتها.)

المراد من قوله: (فقد أدرك اللَّيلة) أي عَرَفَ شيئاً من أسرارها وحصل شيئاً من فيضها، بِحَسَبِ ما يَفضِّلُ به إمامُهُ عليه.

مثلاً مَيِّزُ سُبْحانَهُ وتعالى شهرُ رمضانَ بينَ الشُّهورِ، وَجَعَلَ لَهُ ما جَعَلَ لَهُ مِنَ الخُصوصيَّاتِ.. فَجَعَلَ فِيهِ جَوْهَرَةً بَرَّاقَةً لَامِعَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ.. كذاكَ هي فاطمةُ جَوْهَرَةُ سُلْسلَةِ الإِمامَةِ العُظْمى، إنَّها جَوْهَرَةُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم أجمعين."

فليلةُ القدرِ هي ليلةُ فاطمة وهي ليلةُ صاحبِ الأمرِ.. هي ليلةُ كُلِّ إمامٍ في زمانه.. ففي زماننا هذا ليلةُ القدرِ هي ليلةُ الحُجَّةِ بنِ الحسنِ "صلواتُ الله وسلامُهُ عليه".. ليلةُ القدرِ هي ليلةُ فاطمة على طُولِ الخَطِّ (في زمانِ رسولِ الله ليلةُ القدرِ هي ليلةُ فاطمة وهي ليلةُ المُصطفى، وفي زمانِ أميرِ المؤمنين ليلةُ القدرِ هي ليلةُ فاطمة وهي ليلةُ أميرِ المؤمنين..) وهكذا في زمانِ الأئمةِ كُلِّهم إلى يومنا هذا.. فليلةُ القدرِ في كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ رَمَضَانَ هي ليلةُ فاطمة وهي ليلةُ إمامِ زماننا.. وهذا ما أَشْرَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ إمامَةَ فاطمةَ تَميِّزُ بِالْمُضاعِفَةِ.. هي إمامَةُ مُضاعِفَةٍ.

• إلى أن يقول إمامنا الصادق " عليه السلام " في معنى قوله عز وجل: {تنزل الملائكة والروح فيها} قال: (الروح القدس هي فاطمة..) الروح القدس هذا مصطلح.. الروح القدس له أكثر من دلالة ولست بصدد الحديث عن كل التفاصيل.. لكنني أنظر إلى هذه الجهة فقط وهي أن "الروح" الذي جاء مذكوراً في سورة القدر هو مجلي من مجالي فاطمة، هو من تجلياتها، هو من مظاهرها.. مظهر مقدس من مظاهرها، من مظاهر تلك الذات التي فطمت العقول عن معرفتها.

الروح الذي حدثتنا الروايات عنه أنه خلق أعظم من الملائكة، فهو ليس من الملائكة.. ولذا جاء معطوفاً ولم يأت مذكوراً ضمن الملائكة {تنزل الملائكة والروح فيها} فهو خلق أعظم من الملائكة بكثير.. إنه مظهر من مظاهر فاطمة. وهذا الروح يتنزل في كل ليلة قدر (في زمان رسول الله، في زمان أمير المؤمنين، في زمن الأئمة الباقين..) وهذا هو الذي قصدته حين قلت أن إمامة فاطمة إمامة مضاعفة ليست محصورة تنظيمياً في زمن معين.

إمامتهم جميعاً ليست محصورة بحسب الحقيقة في زمن معين، وإنما هناك تنظيم يرتبط بشؤون العباد وشؤون الخلق خصوصاً ما يرتبط بالإنس والجن.. فهناك مقطع زمني تتفعل فيه في العالم الأرضي الترابي تتفعل إمامة كل إمام في مقطع زمني لا علاقة له بالإمام أصلاً من جهة الحقيقة وإنما يرتبط الأمر بحاجة العباد والخلق.. فهي قضية عارضة بالنسبة لحقيقة الإمامة وذاتيتها.

في هذا الجو فإن إمامة فاطمة تستمر في كل الأزمنة.. فهذا الروح يتنزل في كل ليلة قدر، ولذا فإن فاطمة هي قيمة الدين.. فلا نستطيع أن نتصور أنها قيمة وقيمومتها ليست متصلة، وهذا هو معنى قيمومتها "صلوات الله وسلامه عليها".. فإنها قيمة الدين في زمان رسول الله وهي قيمة الدين في زمان أمير المؤمنين قبل أن تستشهد، بعد أن قتلت "صلوات الله وسلامه عليها".

هذه عوارض.. حقيقة الإمامة أسمى من كل هذه المعاني.. فاطمة هي القيمة على الدين.

• مظاهر هذا الروح القدس عديدة تحدث القرآن عن مظهره وتجلياته.

❁ في الآية ٢ بعد البسمة من سورة النحل، قوله عز وجل: {يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ}.
هذه صورة من صور فاعلية هذا المظهر الفاطمي، وفي ذلك دلالة واضحة على قيمومتها وعلى أنها القيمة على طول الخط وفي جميع الاتجاهات.

● قوله: {يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ} هذه الباء في قوله {بالروح} هي باء الواسطة.. فإنَّ الملائكة تنزل بواسطة الروح.. هذه منزلة من منازل التجلي الفاطمي دون الذي يجري في ليلة القدر.. لأنَّ الحديث هنا فيما يرتبط بالأنبياء لا بمحمد وآل محمد "صلوات الله وسلامه عليهم". فمضمون ما عليه الملائكة في هذه الآية.. ما يصدر من فيض من الروح - الذي هو من تجليات الحقيقة الفاطمية - ما ينزل من فيض لهؤلاء الملائكة النازلين.

● قوله: {أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ..} المندرون هم الأنبياء.. الحديث هنا عن الأنبياء، لا عن محمد وآل محمد.

❁ في الآية ٤ بعد البسمة من سورة القدر، قوله عز وجل: {تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} هذا تجلٍ من التجليات.. هناك فوارق في التعابير بين هذه الآية وبين الآية السابقة وهي الآية ٢ من سورة النحل.

إذا ذهبنا إلى سورة النحل فإنَّ الحديث عن جانب من الأمر {من أمره} و "من" هنا للتبعيض، يعني بعض الأمر.. بينما في سورة القدر التي هي بطاقة التعريف بفاطمة فقد جاءت فيها هذه الصيغة: {من كل أمر} ولا مقايسة بين التعبيرين.

❁ في الآية ٤ بعد البسمة من سورة المعارج، قوله عز وجل: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}.

بحسب أحاديث العترة الطاهرة إنه يبدأ من فجر يوم القدر إلى نهاية ذلك النهار.. فالملائكة تنزل في ليلة القدر والروح فيها.. مضمون هذا الفيض الفاطمي {سلام هي حتى مطلع الفجر}.

فاطمة هي القيِّمة على الدين.. إنها قيِّمة على التكوين وقيِّمة على التشريع.. إنها أمُّ أبيها، هذا هو المراد من "أمُّ أبيها" فأبوها الحقيقة الجامعة.. إنها الحقيقة الجامعة بين أسرار التكوين وبين أسرار التشريع.

• قوله: {خمسین ألف سنة} بحسب أحاديث العترة الطاهرة خمسون ألف سنة هي مواقف يوم القيامة.. ومرَّ الحديث عن هذا في الحلقات المتقدمة، فيومُ القيامة خمسون موقف كلُّ موقف يستمرُّ ألف سنة.

وكما أنَّ يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، كذلك الدولة المحمّديّة العظمى في نهاية عصر الرجعة العظيمة فإنَّ مقدارها خمسون ألف سنة.

❁ في الآية ٣٨ بعد البسمة من سورة النبأ وهي تتحدّث عن مواقف يوم القيامة، قوله عزَّ وجلَّ: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا}.

• قوله: {إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} إنَّهم مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّدٍ الذين يأذن لهم الرحمن والذين يقولون الصواب.. إنَّهم الأئمة الأطهار (مُحمَّدٌ وعليٌّ وفاطمة وولَد عليٍّ وفاطمة من الأئمة المعصومين من المُجتبى إلى القائم "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين").

فإنَّ الحقائق المحمّديّة والعُلويّة والفاطميّة تتجلّى بحسب ذلك العالم وستكون المجالي التي تجلّت منهم، ستكون مظاهرهم دونهم.. ولذا فإنَّ هذه المظاهر لا تتكلّم، وإنَّما الذي يتكلّم هم مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّدٍ "صلوات الله وسلامه عليهم".. فالروح والملائكة هم مجالي لتلك الدوات الطاهرة.

{ • يوم يَقُومُ الرُّوحُ } هو مجلّي من مجالي فاطمة، إنَّه سيّد الملائكة الأعلى.. هذا الكائن العظيم الذي هو من مظاهر فاطمة يأتي مذكوراً بمعزلٍ عن الملائكة.

♦ وقفة عند الصحيفة السجّاديّة.. وتحديدًا عند الدعاء المعنون بهذا العنوان: في الصلاة على حملة العرش وكلِّ ملكٍ مقرب.

مما جاء في هذا الدعاء، يقول إمامنا السجّاد "صلوات الله عليه" وهو يُعدّد أسماء الملائكة: (وإسرافيلُ صاحبُ الصور، الشاخصُ الذي ينتظرُ منك

الإذن.... وميكائيل ذو الجاه عندك.... وجبريل الأمين على وحيك.... والروح الذي هو على ملائكة الحُجُب، والروح الذي هو من أمرك...).

هناك حُجُبٌ قبل العرش، وهناك حُجُبٌ بعد العرش.

• قوله: (والروح الذي هو على ملائكة الحُجُب، والروح الذي هو من أمرك) هذه تجلياتٌ ومظاهر ومراتب لفيض الحقيقة الفاطمية.

أنا حين أتحدّث عن الحقيقة الفاطمية لا أتحدّث عن المظهر الذي تجلّى منها في صورة الصديقة الكبرى.. الصديقة الكبرى هي الإسْمُ الأعظم للحقيقة الفاطمية العليا. كلّ المعاني تُشير إلى أنّ هذه المظاهر مظاهر قيمومة، ومظاهر القيمومة هذه ترتبط بالذات التي لها تلك القيمومة.. إنّها الذات القيمة {وذلك دين القيمة} إنّها فاطمة.

تلاحظون تعانق المعاني بين الآيات وبين الأحاديث والأدعية والزيارات.. لأنّها من منبع واحد، من منبع العيون الصافية التي وقف السباريت فيما بيننا وبينها وقطعوا الطريق علينا، وقادونا بطريقةٍ دبخيةٍ غبيةٍ سفيهةٍ إلى العيون الكدرة.. وهذا هو الذي جنبناه من أولئك السباريت.

كلُّ هذا يقودني إلى النقطة التي أشرتُ إليها قبل قليلٍ وبنحو إجمالي وهي أنّ فاطمة "صلواتُ الله وسلامه عليها" قيمةٌ على الدين في زمن رسول الله، في زمن أمير المؤمنين.. وهكذا إلى زمان إمامنا الحجة بن الحسن "صلواتُ الله وسلامه عليه".

والقرآن يُشيرُ إلى هذه الحقيقة كما جاء في سورة الدُخان التي تتحدّثُ الآياتُ الأولى منها في أجواء ليلة القدر.. وهناك رباطٌ وثيقٌ فيما بين سورة الدُخان وبين سورة القدر، ومثلما يُستحبُّ في طقوس ليلة القدر أن تُكرّر قراءة سورة ليلة القدر، يُستحبُّ أيضاً أن تُكرّر قراءة سورة الدُخان ١٠٠ مرّة.. قطعاً للذي يجدُ فسحةً من الوقت. علماً أنّي لا أتحدّثُ هنا عن الطقس بما هو طقس وإنما أريدُ أن أُشيرَ إلى رمزية تلك الطقوس.

❁ جاء في سورة الدخان: {حم* والكتاب المبين* إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين* فيها يفرق كل أمر حكيم* أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين}.

الآيات في أجواء ليلة القدر، والمضامين ترتبط بسورة القدر.. الليلة المباركة عنوان من عناوين فاطمة في القرآن مثلما ليلة القدر عنوان من عناوين فاطمة.

❖ وقفة عند مقطع من حديث إمامنا الكاظم "عليه السلام" في [الكافي الشريف: ج ١] صفحة ٥٤٤ - باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر "صلوات الله وسلامه عليه" .. جاء في بداية الحديث:

(بسنده عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم قال: كنت عند أبي الحسن موسى "الإمام الكاظم عليه السلام" إذ أتاه رجل نصراني ونحن معه بالعريض - وهي منطقة في الحجاز - فقال له النصراني: أتيتك من بلد بعيد وسفر شاق وسألت ربّي منذ ثلاثين سنة أن يرشدني إلى خير الأديان وإلى خير العباد وأعلمهم...)

• إلى أن يقول في صفحة ٥٤٥: (فقال النصراني: إني أسألك - أصلحك الله - قال: سل، قال: أخبرني عن كتاب الله تعالى الذي أنزل على محمد ونطق به، ثم وصفه بما وصفه به، فقال: {حم* والكتاب المبين* إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين* فيها يفرق كل أمر حكيم} ما تفسيرها في الباطن؟ فقال: أما "حم" فهو محمد "صلى الله عليه وآله" وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه وهو منقوص الحروف، وأما "الكتاب المبين" فهو أمير المؤمنين علي، وأما الليلة ففاطمة..).

• قوله: {فيها يفرق كل أمر حكيم} هذه الليلة ترتبط بكل أمر.. وكل أمر يرتبط بها، إنها إشارة إلى قيمتها.. فالقيّم هو الذي يرتبط به كل أمر وهو الذي له شأن بكل أمر.. هذا هو القيم على الشيء الذي يكون محيطاً بتفاصيله ومُشرفاً على شؤونه.. وتلك عناوين ورموز.. إنها إشارات إلى معانٍ عميقة.

سورة الدخان تتحدث عن التواصل فيما بين محمد وعلي وفاطمة.. ففاطمة هي الليلة المباركة في محضر محمد، وهي الليلة المباركة في محضر علي.. والأمر مع الأئمة الباقين إلى زماننا هذا.. وحيثما يستمر الزمان. ولذا فليلة القدر هي ليلة فاطمة وهي ليلة الحجّة بن الحسن في زماننا هذا..

• إنَّها أُمُّ أبيها "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليها" وهذا الوصفُ لا يُسَلَّبُ منها.. فأبوها هو أبوها، فلا يُمكن أن يكونَ في حالةٍ مِنَ الحالات ما هو بأبوها.. وهو الذي وصفها بهذا الوصف.. فهذا وصفٌ ثابتٌ لها، إنَّها أُمُّ أبيها، وهي أُمُّ الأئمةِ فأنوارُ الأئمةِ زهرتُ من ذاتها، فهي الزهراء التي زهرت من ذاتها أنوار الأئمة.. هذه أوصافها وأسمائها الحُسنى.

• الزهراء هي أُمُّ المُؤمنين، وهذا الإطلاقُ إطلاقٌ حقيقيٌّ فقط عليها.. صحيح أن نساءَ النبيِّ سُمِّيَ في القرآنَ أَنَّهُنَّ أمَّهاتُ المُؤمنين، ولكنَّ نساءَ النبيِّ لا يرتبطنَ ارتباطاً ذاتياً بالنبيِّ.. ففي أيِّ مقطعٍ مِنَ المقاطعِ يُمكن أن يخرجنَ من الدين، وفي أيِّ مقطعٍ مِنَ المقاطعِ يُمكن أن يُطلَقنَ.. فيكونُ الاسمُ اسماً عرضياً.. أمَّا فاطمة حينما تُوصَفُ بهذا الوصفِ أنَّها أُمُّ المُؤمنين فإنَّ فاطمة لا ترتبطُ ارتباطاً عرضياً حتَّى على المُستوى الترابي.. هي بنتُ رسولِ اللهِ، العلاقةُ ثابتةٌ حتَّى على المُستوى الترابي العرفي الدنيوي.. لا يُمكن التفكيكُ بين الأبِّ وبنته.. حتَّى لو أنَّ الأبناء قالوا إننا نتبرأ من آباءنا، أو قال الأبناءُ إننا نتبرأ من أبائنا.. لا يُمكن التفكيك.. هذه قضيةٌ اجتماعيةٌ أن يتبرأ الآباءُ مِنَ الأبناء، أو أن يتبرأ الأبناء من الآباء.. هذه قضيةٌ اجتماعيةٌ، مسألةٌ ترتبطُ بحالةٍ نفسيةٍ مُعيَّنة. في الحقيقة نحن لا نستطيعُ أن نُفكَّك بين الآباءِ والأبناء على أرض الواقع.

ولا تُطلَقُ البيت.. الطلاقُ للزوجة.. فإطلاقُ هذا العنوان على نساءِ النبيِّ إطلاقٌ عرضي، أمَّا إطلاقه بحسبِ الرواياتِ على فاطمة.. ففاطمة في أحاديثنا موصوفةٌ بأنَّها أُمُّ المُؤمنين.. فهذا الإطلاقُ إطلاقٌ حقيقيٌّ.

♦ وقفة عند مُقتطفاتٍ من زيارةٍ مُختصرةٍ جامعَةٍ للأئمةِ في كتاب [المزار الكبير] لابن المشهدي صفحة ١٠٤ .. جاء في الزيارة ونحنُ نُسلم على الصديقة الكبرى هذه العبارات: (السلام على الطاهرة الحميدة، والبرة التقية الرشيدة، النقية من الأرجاس، المبراة من الأدناس).

• إلى أن نقول: (ابنة نبيك، وزوجة وليك، وأمُّ شهيدك، فاطمة الأفظام، مربية الأيتام..).

الأفطام جمع لفطيم وهو الذي يُفطم.. هناك فطمٌ عن معرفتها، هذا مُستوى من مُستوياتِ الفطمِ فهي الفاطمةُ التي فطمتُ العقول.. وهناك فطمٌ عن النار، إنّه فطمٌ التطهير.

فطمُ العقولُ هو فطمُ التنزيه والتقدّيس والإجلال.. ذاتُ مُنزّهةٌ مُقدّسةٌ جليّةٌ لا تستطيعُ العقولُ أن تتواصلَ مع كُنْهها ولذا قد فطمتُ العقولُ عن معرفتها.. والفاطمةُ التي فطمتُ شيعتها ودُرّيتها من النار.. إنّها فاطمةُ التطهير التي تُطهّرُ الأفطام.

هذه العناوين مضمونها إشاراتٌ إلى القيمة.. ففاطمةُ الأفطام هي قيمةُ الطهارة والتطهّر والتطهير، هي التي تُطهّرنا، تقطعنا عن نار جهنّم.. وهي مُربيّة الأيتام أيتامُ عالم البرزخ.

♦ وثقة عند حديث إمامنا الصادق "صلواتُ الله عليه" في كتاب [بحار الأنوار: ج٦] صفحة ٢٢٩ الحديث (٣٤) وهو منقولٌ عن تفسير القمّي.

(عن أبي بصير، عن أبي عبد الله "الإمام الصادق عليه السلام" قال: إنّ أطفالَ شيعتنا من المؤمنين تُربّيهم فاطمة.)

• قوله: (إنّ أطفالَ شيعتنا من المؤمنين تُربّيهم فاطمة) هذا يكونُ في مقطعِ عالم البرزخ.. هناك رواياتٌ تُحدّثنا عن شجرةِ فاطمة الجنائيّة.. هذه الشجرةُ تحت إشرافِ فاطمة.. يُشرفُ عليها إبراهيمُ الخليل الذي يكونُ مسؤولاً بأمرٍ من فاطمة عن رعايةِ أطفالِ المؤمنين في مرحلةِ البرزخ.. هكذا جاءَ في رواياتهم الشريفة "صلواتُ الله وسلامه عليهم".. وهنا جاءَ ذِكرُ هذا الموضوع بالإجمال.

ففاطمةُ أمّ أبيها، وفاطمةُ أمّ الأئمة، وفاطمةُ أمّ القائم من آلِ مُحمّد، وفاطمةُ أمّ المؤمنين.. وكلُّ تلك العناوين تُشيرُ إلى معنى القيمة.. والقيمومةُ مُستمرّةٌ على طولِ الخطّ، وليلتها ليلةُ القدر هي هي في زمنِ مُحمّد المُصطفى، هي هي في زمنِ الحُجّة بن الحسن.. فهم "صلواتُ الله عليهم" أولهم مُحمّد، وأوسطهم مُحمّد، وآخرهم مُحمّد.. وفاطمةُ رُوحِ مُحمّد التي بين جنبيه، وتلك الرُوح هي التي يتجلّى ما يتجلّى منها.. ذلك الرُوح الأعظم الذي ينتزِلُ مع الملائكة في زمنِ كلّ إمامٍ من الأئمة.. في زمنِ أئمةِ الأئمة وفي زمنِ بقيّةِ الأئمة.

ففاطمةُ الإمامِ الوحيدُ مِنَ الأئمةِ لم يكنْ له زمانُ إمامةٍ خاصٍ به.. لأنَّ إمامتها مفتوحةٌ في كُلِّ الأزمنة.. هي القِيمةُ على الدين.

❖ وقفة عند الآية ٥ بعد البسمة من سُورة البيّنة، قوله عزَّ وجلَّ: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة}.

❖ وقفة عند مقطع من حديث الإمام الباقر "عليه السلام" في كتاب [تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ج ٢] للمحدث شرف الدين الإسترابادي النجفي. في مضامين سُورة البيّنة الحديث (١) صفحة ٨٢٩:

(بسندِه عن جابر الجعفي، عن إمامنا باقر العلوم "عليه السلام": في قوله عزَّ وجلَّ: {وذلك دين القيمة} قال: هي فاطمة صلوات الله عليها.)

وبالمناسبة فإنَّ السُورة في أولها، قوله عزَّ وجلَّ: {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب..} بحسب أحاديث العترة الطاهرة فإنَّ أهل الكتاب هم مُكذِّبوا الشيعة، لأنَّ الكتاب هو الآيات وأهل الكتاب الشيعة، وقوله {والمُشركين} قال باقر العلوم: هم المُرجئة، يعني النواصب.

هناك مُرجئةٌ شيعةٌ تحدّثت الروايات عنهم.. ولكنَّ هذا المُصطلح يشيعُ في النواصب أكثر.

❖ في صفحة ٨٣١ الحديث: (٢)

(عن أبي عبد الله "الإمام الصادق عليه السلام" في قوله عزَّ وجلَّ: {وذلك دين القيمة} قال: إنّما هو ذلك دين القائم.)

الدينُ هو دينُ القِيمةِ ودينُ القائم.. وهذا هو الذي تسمعونه مِنِّي كثيراً وهو أنّ عقيدتنا الحقّة تبتني على هذا الأساس: أنّ للدين قِيمةً وللدين قائم، أمّا القائم فهو الحُجّة بن الحسن وأمّا القِيمة فهي فاطمة.. إنّها أمُّ المؤمنين.. أمنا فاطمة.

• في الكتاب الكريم لم يُوصَف أحدٌ بوصف "القيِّمة" إلا هي "صلواتُ الله عليها" وكذلك رسول الله وُصِف بهذا الوصف.. هي رُوحهُ التي بين جنبيه، هي نفسه، هي مُهجته.. إنّها مُحَمَّدٌ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ".

❁ في سُورَةِ الكَهْفِ مِنَ الآيَةِ (١) بَعْدَ البِسْمَلَةِ وَمَا بَعْدَهَا، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا}.

• قَوْلُهُ: {قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا} فَهُنَاكَ جَاءَ وَصْفُ رَسولِ اللهِ أَنَّهُ قَيِّمٌ.. وَهُوَ الَّذِي يُنْذِرُ وَلَيْسَ الْكِتَابُ، الَّذِي يُنْذِرُ رَسولُ اللهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ".. وَقَوْلُهُ: {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ} الَّذِي يُبَشِّرُ هُوَ مُحَمَّدٌ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" وَلَيْسَ الْكِتَابُ.

مِثْلَمَا جَاءَ فِي وَصْفِ الصَّدِيقَةِ الطَّاهِرَةِ أَنَّهَا الْقَيِّمَةُ.. وَجَاءَتْ مُعْرِفَةً: {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} الألف واللام هنا هي ألف ولام التعريف في مُستوى العَهْدِ الذَّهْنِيِّ (وقفه توضيح للام العهد الذهني بمثال).

هُنَاكَ قَيِّمَةٌ مَعَهُودَةٌ فِي أَذْهَانِنَا إِذَا كَانَتْ أَذْهَانِنَا تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِحَسَبِ تَفْسِيرِ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيِّ الْقُرْآنِ.

❁ فِي الآيَةِ ٩ بَعْدَ البِسْمَلَةِ مِنْ سُورَةِ الإِسْرَاءِ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}، الآيَةُ قَالَتْ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ، وَلَمْ تَقُلْ: يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ.

♦ وقفة عند حديث الإمام الصادق "عليه السلام" في [الكافي الشريف: ج ١] صفحة ٢٤٢ - باب أنّ القرآن يهدي للإمام، الحديث.(٢)

(عن العلاء بن سيّابة، عن أبي عبد الله "الإمام الصادق عليه السلام" في قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ} قال: يهدي إلى الإمام.)

يهدي للحقيقة التي هي أقوم، ولكن ألا ترون أنّ التعبيرَ أنسبُ بالقيِّمة، أنسبُ بفاطمة لأنها هي الإمام هنا..؟! فالدينُ دينها والقيومةُ لها.. أنا لا أريد أن أحصرَ الآيَةَ بِفاطمة.. الآيَةُ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَلَايَةِ وَالْإِمَامَةِ، وَالْإِمَامُ.. هَذِهِ الْمَضَامِينُ وَرَدَتْ فِي أَحَادِيثِهِمُ الشَّرِيفَةِ "صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ".

❁ في الآية ٣٦ من سورة التوبة وهي تتحدث عن سلسلة الأئمة الإثني عشر: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}.

الآية تُشير إلى تعدد سلاسل الإمامة.. فالمرء من قوله: {منها أربعة حُرْمٌ} العليّون الأربعة (عليّ المرتضى، عليّ السجّاد، عليّ الرضا، عليّ الهادي) هكذا ورد في رواياتهم "صلوات الله عليهم".

وقوله: {ذلك الدين القيم} ليس الحديث هنا عن شهور السنة التي نعرفها وعن الشهور الحُرْم.. هذا يأتي في حاشية الدين.. الحديث هنا على الأئمة الإثني عشر وهذه السلسلة تتفرّع عن السلسلة الأمّ وهي سلسلة الأئمة الأربعة عشر.

قوله: {ذلك الدين القيم} إنّه دين القيمة، دين مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، إنّه دين الأنبياء على طول الخطّ.. فما من نبيّ بُعثَ إلّا وقد بُعثَ بنبوّة نبيّنا وولاية عليّ والأئمة من بعده.. والأئمة من بعده يبدأون من فاطمة .

❁ في سورة يوسف في الآية ٤٠ بعد البسملة والآية التي تسبقها، قوله عزّ وجلّ: {يا صاحبي السجن أأربابٌ متفرّقون خَيْرٌ أمَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

❁ المضمون هو هو في سورة الروم في الآية ٣٠ بعد البسملة، قوله عزّ وجلّ: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

{ ذلك الدين القيم } إنّه الدين الزهراي.

❁ وفي الآية ٤٣ بعد البسملة من سورة الروم، قوله عزّ وجلّ: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ}.

◆ أختتم حديثي بما جاء في حديث المعرفة بالنورانية.. يقول سيّد الأوصياء
"صلواتُ الله عليه:"

(يا سلمان ويا جندب، قالاً: لبيك يا أمير المؤمنين، قال "صلواتُ الله عليه":
معرفةً بالنورانية معرفةً الله عزَّ وجلَّ ومعرفةً الله عزَّ وجلَّ معرفةً بالنورانية
وهو الدين الخالص الذي قال الله عزَّ وجلَّ: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين
لَهُ الدين حُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ}..).

• إلى أن يقول سيّد الأوصياء "صلواتُ الله عليه": (فَمَنْ اسْتَكْمَلَ مَعْرِفَتِي فَهُوَ
عَلَى الدِّينِ الْقِيَمِ كَمَا قَالَ اللهُ: {وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ}...) الدينُ القِيم هو دِينُ الْقِيَمَةِ،
والدينُ القِيم هو معرفةُ الله عزَّ وجلَّ ومعرفةُ الله عزَّ وجلَّ معرفةً عليّ
بالنورانية.

• الخلاصة: ديننا لأبَدٍ أن يكون زهرايياً.. عرفتُم لماذا وضعتُ هذا المصطلح
(الدين الزهراي في مواجهة الدين السبروتي).